## الفصل الرابع

# سلة فواكه صيفية

وهكذا أراني السيد الرب وإذا سلة للقطاف، فقال ماذا أنت راء يا عاموس؟
فقلت سلة للقطاف، فقال لي الرب قد أتت النهاية على شعبي اسرائيل

عاموس 8/ 1 ـ 2

دارت الأخبار الأولى عن حملة بطرس الناسك التي وصلت إلى فرنسا والمانيا حول سفرها الناجح إلى القسطنطينية، ولكن تأخرت كثيراً أخبار النكبة، وفي غضون ذلك كان نوابه المتعددون منهمكين في تجنيد الامدادات العسكرية فقد حشد الكاهن غوتز شولك جيشاً صغيراً من الرجال من اللورين وبافاريا، وفعل رفيقه الكاهن الذي لا يعرف عنه شيء غير اسمه فولكمار نفس الشيء في بوهيميا. بينما جمع الكونت امش من ليزنغن جيشاً أكبر آخر في أراضي الراين، وقبل أن تنطلق أي من تلك المجموعات المسلحة من الرجال لتنضم إلى بطرس في آسيا الصغرى لتقاتل أعداء المسيح، طرح أحد الأشخاص سؤالاً: ألم يكن هناك أعداء للمسيح في وطن أقرب ينبغي أن تكون المعاملة أولاً؟ ولماذا السير والزحف مسافة ألفي ميل لقتال الأتراك، بينما هناك أفراد من العرق الذي صلب المسيح حياً في مدينة أوروبية عظيمة؟ لم يكن اليهود شائعين بين عامة الناس في أوروبا، وفي الحقيقة لم يحاولوا اكتساب شعبية. وبدلاً عن ذلك كانوا دائماً يعيشون بعيدين عن بقية الناس كمجموعة أقلية دينية وعرقية محافظين على أنفسهم، ومتجنبين أي احتكاك مع

جيرانهم المسيحيين ويعيشون حياتهم الخاصة بطريقتهم الخاصة، كما كانوا يمارسون الربا الفاحش الذي حرمته الكنيسة على المسيحيين ولم يكن مقرضوا المال رائجين كثيراً، في حين كان اليهود فهم فوائدهم كأصحاب أموال وتجار وخاصة بالنسبة للنبلاء، وكان الجميع يعترف بأنهم يعلمون الكثير عن فنون الطب أكثر من غيرهم، لذا فقد لقوا تسامحاً دينياً، لذلك لم يكن متوقعاً العاصفة التي ثارت حولهم والضربة التي نزلت بهم.

ومن الصعوبة بمكان تبيان سبب ذلك، فقد كان بطرس الناسك مقتنعاً إلى حد ما أن يهود فرنسا أعطوه رسائل تعريف إلى يهود شرق أوروبا، الذين كان يأمل أن يجمع منهم مساعدات مالية في طريقه، وربما كانت فكرة جذب اليهود إلى دعم الصليبيين مبنية على أساس هذه السابقة. وفي نفس الطريقة كان غود فري دي بوليون دوق حوض اللورين المنخفض الذي كان يستعد للالتحاق بالصليبيين أعطاه يهود منز وكولونيا ألف قطعة فضية ليسرع في طريقه. وقد قيل أيضاً لتركهم في سلام، وقد أكد لهم أنه لم يكن لديه أية نية في ازعاجهم ومع ذلك أخذ أموالهم. ومن الممكن أن الناس الآخرين رأوا فرصتهم في عبرته السابقة ومهما يكن فهو الذي بقصد أو بغير قصد، زرع فكرة اضطهاد اليهود في أذهان رجال ذلك الوقت، في أوائل صيف 1096، ونمت هذه الفكرة إلى طفرة إجرامية من العنف اللاسامي، وقام إمش أوف ليزنغن باولى الحركات في 3 أيار مع بعض صحبه بالهجوم عل يهود سبير وقتلوا اثني عشر يهودياً، وأجبروا الشابات اليهوديات على الانتحار على أن يغتصبن. وكتجربة شخص عسكري، لم يكن ذلك مثيراً للخشية والرهبة بل كان بداية.

وبعد أسبوعين قام كونت ليزنغن بالزحف إلى وورمز حيث كان اليهود، لسبب ما شائعين أكثر من أماكن أخرى، وعند العلم بمقصده تضخم جيشه مباشرة بانضمام حشد من الفلاحين الغاضبين، والاهالي للهجوم على الناحية اليهودية، وفتح أسقف وورمز أبواب قصره لليهود كملجأ. ولكن أمش وحشده كانوا متعطشين للدماء فاقتحموا القصر الأسقفي، وقاموا بالاجرام بحق

خمسمائة رجل وامرأة وطفل بالرغم من احتجاجات الأسقف الفزع، ثم بعد خمسة أيام في 25 أيار كان دور منز حيث أمر رئيس الاساقفة باغلاق أبواب المدينة في وجه امش ورجاله، ولكن أخبار قدومهم انتشرت وكان هناك ثورات مناهضة لليهود في المدينة، وفي اليوم التالي 26 أيار فتح شخص ما الابواب لهم، فدخلوا المكان في ضراوة صامتة، مثل عصابة ذئاب تدخل حظيرة غنم، وبدون رحمة على ضحاياهم المقصودة، وياللخوف! حاول اليهود شراء رحمة أمش مقابل الذهب، وعرضوا عليه سبعة أرطال منه لاقناعه بالابقاء على حياتهم، فقبلها، ثم أصدر في اليوم التالي أوامره لجميع رجاله بقتل كل يهودي في المدينة، وكان المكان الأول الذي هوجم هو قصر رئيس الأساقفة حيث التجأ إليه العديد من اليهود، وهرب رئيس الاساقفة تاركاً اليهود يلاقون قدرهم، ورغم أنه كان رجلاً طيباً صالحاً إلا أنه لم يكن بطلاً، وسرعان ما قتل ضيوفه، واستمرت المذبحة يومين لم ينجو منها إلا قلة منهم لاذوا بالفرار، وتخلى آخرون عن إيمانهم كي ينجو بارواحهم، ولكنهم كانوا قلة أرضاً، وعندما توقف سفك الدماء كان ألف من اليهود فوق الأرض أمواتاً.

وبينما كان امش يقتل يهود أرض الراين، كان فولكمر ومدده يسيرون شرقاً. ولم يمنعه هذا من الانضمام إلى العمل الالهي في الاجرام بالناس الذين كانوا قد صلبوا المسيح، وكانت أنباء المذبحة في المانيا قد وصلت إليه عندما كان ورجاله قد وصلوا إلى براغ حيث بدأ في الحال بتذبيح كل اليهود الذي استطاع أن يجدهم، وقد روعت السلطات والاسقف لكنهما لم يمكنهما التدخل وعندما لم يعد هناك يهود ليقتلهم فولكمر تابع زحفه إلى هنغاريا، ولم يكن للملك كولومان أية نية في السماح لأي شخص بقتل أحد من تبعيته، سواء أكانوا يهوداً أم غير يهود، لهذا عندما شرع فولكمر بتصيد اليهود في هنغاريا، أصدر أوامره أن يتفرق الصليبيون، وفي الهجوم التالي قتل عدد من رجال فولكمر، وأسر كثيرون، ولكن قدر فولكمر وآخرين كان مجهولاً، فقد اختفى كل خبر عنهم.

وانتقلت عدوى مناهضة السامية إلى غوتز شولك ورجاله، وعندما بدأوا زحفهم الطويل نحو الأرض المقدسة توقفوا لمدة طويلة في راتسبون ليجرموا باليهود هناك. ثم تابعوا مسيرهم نحو هنغاريا حيث كان الملك كولومان الصابر كثيراً، وعرض على الصليبيين كل مساعدة ليعبروا بلاده ـ رغم ما تحمله على أيديهم ـ طالما بقوا بسلوك صالح، ولكن رجال غوتز شولك برهنوا أنهم غير مختلفين عن أسلافهم، وبدأوا بسلب الريف حالما عبروا الحدود، وعلى نحو مدرك تماماً، برهن الفلاحون الهنغاريون الذين كانوا الضحايا الرئيسية أنهم ليسوا بأكثر صبراً من الملك كولومان، ونشأ قتال بينهم والصليبيين الذين رجعوا إلى أعمالهم الوحشية المعتادة، وفي إحدى القرى أماتوا شاباً هنغارياً على خازوق خشبي مروس في ساحة السوق، وأفقد مثل هذا التصرف أخيراً الملك كولومان احتماله وأرهقه. فأرسل جيشه ضد هؤلاء القتلة غير المرحب بهم. فما كان من غوتز شولك إلا أن فرَّ، ولم يبتعد كثيراً مع رجاله حتى أبيدوا جميعاً.

وبقي امش غير المشهور الذي كان قد اقترب إلى الحدود الهنغارية بقوة أكثر هولاً من قوات فولكمر وغوتز شولك، وكانت سمعته قد سبقته ورفض الملك كولومان أن يأذن له بدخول البلاد، وأصدر امش أوامره بوجوب أن يشق رجاله طريقهم عبر النهر الذي كان يشكل الحدود إلى داخل مدينة ويزلبرغ على الجانب الهنغاري، ولم يكن هناك غير جسر واحد فقط، وقد دافع عنه الهنغاريون بحماسة بالغة، وكان هناك قتال متقطع لمدة ستة أسابيع بينما شرع الألمان باقامة جسر آخر، وعندما تم تشييده نزلوا إلى الجانب الهنغاري، وأكرهوا المدافعين على التقهقر إلى داخل أسوار وينزبرغ التي حوصرت على الفور، وكانوا قد أتوا باسلحة حصار معهم، ولفترة من الوقت بدا كما لو أن المدينة ستخضع لقوتهم وعددهم المتفوق، ثم أن إشاعة من نوع ما انتشرت على نحو مفاجئ بين صفوف رجال امش وقذفت في قلوبهم الذعر، ولم يكن أحد يعرف ما هي، لكنها أحدثت التشتت الواضح، وانتهز الهنغاريون فرصتهم

وقاموا بالهجوم بقوة من المدينة على أعدائهم، وفقد الالمان توازنهم ودمرهم رجال الملك كولومان بعد قتال قصير حيث قتل أكثرهم وأسر باقون، كما كان هناك العديد من الفارين المحظوظين إلى أبعد الحدود بحصولهم بسرعة على خيول متعقبيهم. ومن بينهم امش.

ووصلت أنباء دمار جميع قوة امش إلى الغرب بسرعة بعد أن أصبح قدر الجيوش معلوماً، ولدى سماع الناس أنباء إبادة رجال بطرس الناسك من قبل رجال الأتراك، لم يعرف عويلهم وذعرهم حداً، وبدا أن الرب قد تخلى عن شعبه، واستنتج العديد أن النكبات التي نزلت بالصليبيين كانت عقاباً لجرائمهم المرتكبة بحق اليهود، ولكن رغم أسفهم كان حقيقياً عميقاً إلى حد شعورهم أنهم قد اغضبوا الرب. لم يتوقفوا عن الإعداد لحملة صليبية جديدة، أو الصلاة إلى الرب أن يهديهم إلى النصر في المرة القادمة، وكانوا قد تطهروا من ذنوبهم وتعين الرد على السؤال الذي طرحه المزمور 79، قائلاً: «إلى متى يا رب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غيرتك»؟ ولعل هناك جواباً واحداً. لن يكون الرب غاضباً على شعبه إلى الأبد أنها فكرة غير قابلة للتأمل، لهذا ستكون الأمور مختلفة في المرة القادمة.